الاستشراق

قراءة في المنهج وقصدية الخطاب

د. فارس عزيز المدرس* **د. زاهدة محمد الشيخ****

تاريخ التقديم: **2010/9/19** تاريخ القبول: **2010/11/4**

الملخص

تتلخص فكرة البحث بالدعوة إلى (الكشف) عن البعد المنهجي لـ "فعل الاستشراق"في تشكيل المعطى المعرفي، وفي تحليل إسهام المنهج بتشكيل صورة الآخر ؛ والوصول إلى معطيات تخص المكشوف عنه ؛ عبر استخدام أدواتٍ منهجية كانت وُضعت ابتداء لتكونَ أسسَ الوصول إلى الحقيقة، لكن قسما من المستشرقين جعلوا من المنهج والادعاء الأكاديمي وسيلة لتصنيع صورة الآخر ؛ لأهداف وقصديات مختلفة؛ لذا سيخص الكشفُ عن هذا البعد القيمةَ التواصلية لفعل الكتابة، وهذا يقتضي تفكيك منهجية الاستشراق على وفق آليات تعتمد الأسلوب التحليلي عبر وسائل معرفية مناسبة، وإعادة قراءة لغة الخطاب وقصديتها القبلية.

ولإنجاح هذا الهدف يحتاج الباحث إلى متابعة أفق ارتباط المستشرقين الجدد وصلاتهم بالعديد من المجالات الثقافية والسياسية ذات البعد الاستراتيجي؛ بعد أن لحقت مناهجهم تطوراتٌ واسعة على صعيد المصطلح وعلى مستوى البحوث والمؤتمرات العالمية؛ ثم على صعيد تطور علاقات الاستشراق بإبعاد حضارية جديدة ذات إطار عولمي خطير.

وعليه ينبغي وضع منتجات المستشرقين قيد دراساتٍ (عابرةٍ للموضوعات) التي تناولوها؛ والتي ستبقى في ذات الوقت محطَّ عناية دراسات أخرى؛ فالهدفُ الآن يركز على تفكيك المنهج وآليات عمل الخطاب المتمخض عنه، والكشف عن

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

** قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة دهوك.

قصدياته المعرفية المصنعة للصورة في ذهن القارئ بعد أن امتدت منتجات الاستشراق إلى أفقٍ واسعة تؤثر مباشرة في الإنسان العادي، ولم تكتف – كما كانت في السابق – بأن تكون رهينة المختصين؛ حيث يكشف نشاط الاستشراق عن فاعلية عميقة في المتلقي الغربي والشرقي كليهما مباشرة مدعوما بدعم جديد هو دعم الإعلام والمؤتمرات السياسية والثقافية والندوات والنشريات المختصرة والكتب وحتى السينما والتلفزة؛ وكل هذا بغية تصنيع الرأي وتحديد مسارات الاتجاه.

يكشف البحث أيضا عن أن دوافع دعوات إلغاء مصطلح استشراق والاستعاضة عنه بمسميات جديدة يعني تجاوز حمولاته الثقيلة عبر مراوغة تريد أن تستمر في استثمار معطيات الاستشراق لكن تحت مسميات أخرى ذات مسحة أكاديمية وحتى إنسانية.

ومن هنا بات من اللازم دراسة "فعل الاستشراق "عبر تحليل لغته وتفكيك قصديته؛ لما له من اثر خطير وفاعل في التغيرات السياسية والثقافية في العالم.

الاستشراق

قراءة في المنهج وقصدية الخطاب

تقوم البنية الأساسية لهذا البحث على فكرة الكشف عن البعد المنهجي لـ"فعل الاستشراق "وأثره في تشكيل المعطى المعرفي، ومدى إسهامه في تشكيل صورة الآخر ؛ وفي الوصول إلى معطيات تخص المكشوف عنه . فهو معنيٌّ بالكشف عن مدى إسهام المنهج بتحقيق المعرفة الصحيحة أو بتحطيم معطياتها وطمس معالمِها؛ عبر استخدام أدواتٍ منهجية كانت وُضعت لتكونَ أسسَ الوصول إلى الحقيقة، أي أنه يمس القيمة التواصلية لفعل الكتابة.

على مدى العقد الماضي اعتمدت دراسات"تاريخ"العالم الثالث إلى حد كبير على نظرية ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، وهي نزعة كثفها الناقد والكاتب الفلسطيني ادوارد سعيد(1935–2003) في كتابه (الاستشراق) لجيل جديد من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا تمتزج بالنقد الثقافي ، لتعرية النهج المؤسساتي السلطوي، لكن إلى أي مدى نجحت هذه الرؤية في إعادة كتابة تاريخ العالم الثالث

اعتمادا على مناهج مستحدثة؛ إلى أي مدى أسهمت بنيوية العالم الفرنسي ليفي شتراوس(1908–2009)، أو التفكيكية والانثربولوجيا الثقافية عبر رؤية الفيلسوفين الفرنسيين جاك دريدا(1930–2004) وفوكو(1926–1984) في معالجة الخلل التصوري الذي رافق الاستشراق؟ ألم تنطو مثل هذه النظريات على مخاطر جديدة مهما ادعت مجاوزة التاريخ القومي؛ والإسهام بكتابة تاريخ محايد يلغي فكرة المركزية الإمبريالية أو الكولينيالية. هل فعلا ستحررنا المناهج الحديثة من وطأة المنظور القديم لنقد الاستشراق ؟ وهل سيفرض هذا النهج واقعا جديدا، في الدوائر الأكاديمية الغربية [1] ؟ كيف يتسنى لنا عبر فضح المنهجية والخطاب الداعمين لقصديات المستشرقين المؤسساتيين إنقاذ التراث الشرقي والثقافة الشرقية وهي تُصنّع وتطرح على مستوى أكاديمي وحتى جماهيري بشكل لا يعبر عن روح الحقيقة ولا يخدم التجمع الإنساني بعامة؟.

هل بالفعل تم الإقرار بخلل الانثروبولوجيا الاستشراقية، وجرى فضح الخلل المعرفي فيها من خلال تشكيلها لشرق نصي؛ يصب في حساب مركزية الغرب؟ لقد صور النقادُ الجدد (ادوارد سعيد مثلا) وصفَ الأنثروبولوجيا الاستشراقية للمجتمعات الشرقية من خلال المنتج من العقائد والمذاهب، بدلا من التركيز على الطريقة التي تم على أساسها إنشاء هذه الأوصاف الاجتماعية والسياسية، والفكرية ، متجاوزة البناء الاستشراقي النصي للمجتمعات الشرقية "لذا هم يرون إمكانية تجاوز هذا الخلل؛ من خلال بنيوية ليفي شتراوس" [2]. لأنها ذات بُعد اقل أثنية، وذات نزعة شبه عالمية؛ غير وصفية.

([1])See: After Orientalism: Culture, Criticism, and Politics in the Third World Author(s): Rosalind O'Hanlon and David Wash brook Source: Comparative Studies in Society and History, Vol. 34, No. 1 (Jan., 1992), pp. 141-167

([2])Occidentalism: The World Turned Upside-down Author(s): James G. Carrier Source: American Ethnologist, Vol. 19, No. 2 (May, 1992), pp. 196-197

لكن وفي الجهة المعاكسة تعالت أصوات تصدت لمصادرة مصطلح " استشراق "بزعامة واحد من عتاة المستشرقين المحديثن وهو المستشرق برنارد لويس(1916) داعيا إلى ضرورة التوقف عن استخدامه قائلا:
"إن هذا المصطلح قد ألقي به في مهملات التاريخ، لأنه ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية؛ وأنهلم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي". فصدر في عام 1973 قرارٌ من منظمة المؤتمرات العالمية يقضى بالاستغناء عن ه، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا ICHSAN)؛ لكن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS)[3]، ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر كان مصطلح استشراق يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح؛ إذ اختاروا تسمية "باحثون في العلوم الإنسانية" Humanists أو"متخصصون في الدراسات الإقليمية والاجتماعية والاقتصادية"، وربما كان دافع التنصل من هذا المصطلح التخلصُ من وطأته؛ وبدء خطاب جديد يصرف الذهن عن الإرث السلبي لمصطلح اشتراق.

والسؤال المحوري هنا: إلى أي مدى تغيرت أهداف الاستشراق، واختلفت مناهجه وخطاباته؟ للإجابة على التساؤل سيتم لاحقا اختيار عينة من مستشرقين محدثين يجري تسليط الضوء على مناهجهم وخطابهم، وهذا يعني أن البحث يدعو إلى العناية بفهم المنهج على أسس تشترك فيها نظريات القراءة وتحليل الخطاب للكشف عن قصديات المنهج بمعزل عن موضوعاته التي من اللازم – هي الأخرى – الاستمرار بدراستها والكشف عنها؛ فالبحث يطمح إلى ملاحقة المنهج الاستشراقي الجديد (في الكتابة التاريخية وفي مجال الانثروبولوجيا واللغة والاجتماع والسياسة) للوعي بتغيراته وقصدياته الجديدة؛ عبر فهم آلية عمله.

---

(3) Bernard Lewis.” The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June 24,1982. Pp. 49-56

القيمة المعرفية للمنهج

من المعروف أن المنهج الذي يضعه الباحث وسيلةٌ للوصولِ إلى الحقيقة؛ كي تسير عملية البحث على وفق نسقٍ مترابط يضمن للباحث النأي عن الخطأ، والبعد عن الاستطراد، وتقرير الأحكام دون أدلة كافية. ثم هو عمل إجرائي يتحرى المحافظة على البحث العلمي من ضياع الوقت والجهد. لذا فالمنهج أداة لترصين البحث بطرق استدلالية تتناسب وطبيعة الموضوع؛ لتجعله عملا يسهم في الكشف عن الحقيقة بتقديم معطى معرفي هدفه الوازع العلمي ليس إلا.

والمنهج من جهة أخرى ضابطٌ أخلاقي يجعل من نزوع النفس والأهواء والمؤثرات الخارجية ذات اثرٍ ضئيلٍ نسبيا، لكنه متى ما خضع للنسق [(4)] فإنه يتحول إلى وسيلة تخدم الخطاب وتتبنى طابعه وأهدافه، وبهذا يتحول من أداةٍ الغايةُ منها الوصول إلى الحقيقة؛ إلى وسيلة لتحقيق قصدية الكاتب؛ من بعد كبت الحقيقة أو إخراسها أو تشويهها.

وإذا كان المنهج يدخل في توجيه نتائج البحث فهو إذن عمل إجرائي؛ حتى في مجالات العلوم التجريبية. وغالبا ما أفضى المنهج غير المناسب إلى تعارضٍ مع القوانين العلمية لينتهي أخيرا إلى عجز النظرية عن الوصول إلى الحقيقة أو الصواب؛ لذلك فإن التعويل على الأهواء أو الحدس، أو (إلى افتراضات لا تسويغ منطقي لها)، أو الجنوح إلى التعميم والاختصار من دون ضابط ومسوغ سيؤدي إلى نتائج تكون على خلاف ما يدَّعيه واضع المنهج، أو ما يقوم عليه تعريف المنهج العلمي عامة.

منذ وقت مبكر رأي الفيلسوف الإنكليزي فرنسيس بيكون(1561–1626) أن" العلوم التي تستندُ إلى الآراء (المحضة) ووجهات النظر يكون استخدام الحدس

---

(4) **النسق:** مجموعة من الأحكام المرتبة في نظام معين هو النظام الاستنباطي المستند على مجموعة من القضايا التي توضع كمقدمات تسمى مسلمات يُقرر صدقها على سبيل التسليم. والنسق المنهجي هو الذي يسير على وفق مواقف ومقررات يرى ثبوتها مقدما. فيقيس عليها أو على مشابهاتها. ينظر : عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط 3 ،(القاهرة.، مكتبة مدبولي، 2000)، صـ 877.

فيها أمرا مبررا؛ حيث الحاجة إلى تحصيلِ الموافقة عليها بغض النظر عن ماهيات الأشياء، لكن لو اجتمعتْ كُلّ العقول سوية وتوافقت في أعمالها لبلوغ أفكارها ، فلَنْ يكون هناك تقدّم عظيم يستخلص من علومٍ مبنية على الحدس فحسب؛ لأن هناك أخطاءَ جذرية تتصل بالمنظومةِ الأساسيةِ للعقلِ لن تُصحّحْ أو تعالج مهما بدت رائعة [5]. ومن هنا يبدأ النقصان، فضلا عن الانحراف الذي يتعارض مع قصدية البحث العلمي؛ فتتحول المعرفة إلى أداة حالها كحال أي من الأدوات المضرة ببنية التجمع البشري.

وكثير ما كان الخطاب الاستشراقي فريسةً لوهم الرصانة المنهجية؛ مدعيا القدرة على تفكيك بنية النص الشرقي والولوج إلى مكامنه، هذا الوهم هو ما أبعد الخطاب الاستشراقي عن الموضوعية وكان يوقعه في نطاق الحدس؛ حين يعجز عن طلب الأدلة. ومما عزز واقع ذلك الانحراف محاولة الخطاب خلق نسق منهجي يضفيه على تأويلاته التي كانت تقع تحت وطأة النسق؛ وذلك على نحو ما فعله المستشرق النمساوي فون كريمر Kremer (1828 – 1889 م) حين سعى إلى إضفاء الطابع التنظيري المحض على أفكار المفكرين المسلمين أمثال الفقيه البغدادي الماوردي (ت 450هـ/1058م) عبر معالجات اتسمت بالبعد عن الموضوعية[6]؛ فكانت الفيلولوجيا[7] Philology أداة لتدمير الحقيقة في وقت أنها وضعت للبحث عنها.

ومنذ وقت مبكر شعر كثير من المنصفين بالانحراف المعرفي جراء الخضوع للنسق؛ فدعوا إلى خطاب استشراقي جديد قوامه النظر بمنظار أكثر

---

(5) FRANCIS BACON. The New Organon. Edited by LISA JARDINE. Queen Mary and Westfield College, University of London. First published in printed format 2000. pp. 38.

(6) للمزيد ينظر: Little, "A New Look at Al-Ahkam-Al-Sultaniyya" , MW , Vol. LXIV, 1974, p.1 "

(7)**الفيلولوجيا** دراسة الآثار الفكرية والروحية دراسة تقوم على النصوص وتحقيق الوثائق في التراث الفكري المكتوب باعتباره صورة لتطور العقل الإنساني من اجل الكشف عن الحقيقة. انظر: المعجم الشامل للمصطلحات الفسلفية. صـ 632. مصدر سابق

اعتدالا في تشكيل لغة الخطاب، مع مراعاة أنَّ اغلب رواد لغة الجديد مثّلته شخصياتٌ غربية كانت على تماسٍ مباشر بالمجتمعات الشرقية وتعايشت في ظلالها[8]؛ لذلك امتازت لغة الخطاب الجديد بمنهج تبدو سياقاته أكثر موضوعية من لغة الخطاب القديم، لكن بعضه اتخذ هذا التغير مجرد مراوغة "ليتماشى وتفاعل الغرب مع المعطيات الفكرية للثقافة الإسلامية للولوج إلى خلفياتها الحضارية بأبعادها المختلفة عن طريق خلق رواد جدد يقع عليهم مستقبلا عاتق صياغة أسس جديدة تبلور مفاهيم أكثر مرونة وموضوعية "[9] وتضمن ديمومة الكشف عن صورة الشرق من دون استفزازات ومجافاة للأساليب العلمية.

على إن قسما من الخطاب الجديد عمل على تشكيل منظومة من "الأسس الاستشراقية لتطويع العقل الغربي نحو آلية مبرمجة تجاه الشرق تديرها المؤسسة الاستشراقية "[10]؛ تحاول تعريف المجتمع الشرقي بذاته عبر صياغة مفاهيم تستهدف خلق أسس ومعايير تضمن قبول صورته التي صنّعها الاستشراق. ووفقا لذلك كان فعل الاستشراق الجديد يصوغ خطابه على "تمثيلات تتبنى إسقاط الرؤية الغربية للحركات الإصلاحية في الغرب، على أحداث التاريخ الإسلامي وعلى الأحوال المعاصرة؛ انطلاقا من خلفياتهم التاريخية؛ وعلى وفق مناهج معتمدة في لغة الخطاب قائمة على مبدأ النفي والافتراض"[11].

([8]) للمزيد ينظر: H.A.R Gibb, "Edward Denison Ross 1871-1940", JRAS, 1941, pp. 49-50

([9]) T.W. Arnold, "The Study of Arabic", BSOS, 1917-1920, Vol. 1, pp. 114-115.

([10])The Opening Ceremony", BSOS, 1917-1920, Vol. 1, p. 24

(11) مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، حسين عزوزي، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الإسلامية ، 2006، 24.

في تعريف الاستشراق

ربما يستلزم الأمر تعريف الاستشراق دعما للموضوع، لكن البحث لن يختار تعريفا حرفيا؛ كما لن يقدِّم تعريفا شرقيا بحتا؛ لان غالب تعريفات الشرقيين – وبسبب ما نالهم من مواقف كثير من المستشرقين – قد انحسرت في نسق تعميمي يكتنفه ارتياب عميق؛ وبذلك شكل التعريف الشرقي إجحافا بحق جهود حسنةٍ أبداها قسمٌ من المستشرقين(12). لكن ومن جهة أخرى لن يختار تعريفا يوافق وجهة نظر غربية لا ترى في جهدِ الاستشراق أي منقصة؛ لأن البحث يتبنى فكرة مفادها: أن الاستشراق المؤسساتي ذا الارتباطات السياسية واللاهوتية هو نزوع متعالٍ(13)، ومن الطبيعي أن يعرّفه أصحابه تعريفا ذرائعيا لا يتطابق مع وقائع الأحوال.

إذن فالتعريف المعتمد هنا مفهومٌ مستجدٌ للاستشراق من وجهة نظر غربية هي اقرب إلى التعريف الشرقي؛ لكنها تصحح بعض مساربه ومساراته، ليتوافق نسبيا مع علاقة المنهج بالخطاب الاستشراقي؛ على اعتبار أن هذا التعريف وما فيه من مسحة غربية وشرقية مشتركة يكشف عن حقيقة الثقل الداخلي لفعل الكتابة، صحيح أنه لن يستوعب جلَّ التصورات الغربية لمفهوم الاستشراق؛ لكنه على أيةِ حال يعبر عن شريحةٍ ثقافية مهمة تجاوزت معنى الاستشراق المؤسساتي المتعالي.

في معجم (المصطلحات الأدبية ونظرية الأدب Dictionary of Literature Terms & Literary theory) بطبعته المحدثة آراءٌ مغايرة لما كان عليه تعريف الاستشراق، يتكشف من خلالِها أن التعريف القائم على اختصار

---

(12) أحمد الشيخ ،حوار الاستشراق،مقابلة مع مكسيم رزنسون، ط، المركز العربي للدراسات الغربية،1999، 39.

(13) **المتعالي** في الفلسفة المدرسية اسم يطلق على : بعض المحمولات التي تعتبر أعلى وأعم من غيرها. واشهرها ثلاث هي: الواحد والحق والخير، وهي أعم مقولات أرسطو لأنها تصدق على الموجودات... والمعرفة المتعالية هي التصورات القبلية التي تسبق أية خبرة، والمتعاليات Transcendentalهي المبادئ الأولى البدهية. ينظر: الحفني، المعجم الشامل، صـ. 735.

المفهوم بالموضوعات التي تناولها جهد المستشرقين قد تغير، وأن هناك رؤىً ومواقفَ في تعريف الاستشراق باتَ لصوتها حضورا في الساحة الثقافية الغربية، فالاستشراق ((مصطلح يخص الشرق كما اكتشفه وسجله ووصفه وتخيله وأنتجه واخترعه الغرب. وفيما يخص الأدب؛ فهو مصطلحٌ يدل على الخطاب الغربي حول الشرق؛ والذي يتضمن كمّا هائلا من النصوص الأدبية والاجتماعية والتاريخية واللغوية والسياسية والانثروبولوجية والتوبوغرافية ؛ التي تراكمت منذ عصر النهضة))[14].

هذا التعريف الجديد يستمر ليبدي نظرة محللة لـلنزوع المؤسساتي للاستشراق؛ كاشفا عن البعد النفسي والسياسي الذي هيمن على مناهج المستشرقين، مبينا الموقف من موضوع حضاري وإنساني كان له بالغ الأثر في صياغة الأحداث السياسية والثقافية في العالم الشرقي، فصاحبُ المعجم يرى: ((إن معظم الخطاب الاستشراقي كان متحيزا ومتحاملا، وفيه كثير من الشعور بالتفوق؛.... وكل ذلك يكشف عن قدر كبير من التكبر والشعور بالتفوق، ومعظم ذلك قد امتزج بعنصرية وافتراض مسبق وجهل بيّن ؛ افرز الكثير من العموميات السطحية من لدن أناس كان عليهم أن يعلموا الكثير عن الشرق؛ خلافا لتلك الأحكام الغامضة التي صدرت عنهم.... كما أن بعض الكتاب والباحثين كانوا يكررون أفكارَ من سبقهم ليتبنوا مجموعةَ آراءٍ ومواقفَ تشبه تلك التي قال عنها الكاتب الفرنسي فلوبير (1821–1880): أنها مبتذلة ومتدنية ، وتوهم بأنها تتضمن الحقيقة))[15]. كل هذا يتحصل – كما قال تودوروف – بحضور خطاب لا يكاد يتخلى عن فكرة التفوق، يعززها شعور بالقدرة على فهم الأخر[16].

قد يخص مفهوم الاستشراق الوارد في هذا التعريف تيارَ الاستشراق المؤسساتي الذي مارس سلطتَه عبر كشوفات المستشرقين ومباحثهم؛ فهو يعبر

([14]) Dictionary of Literature Terms & Literary theory. J.A Cuddon. Revised C. E. Preston. Pp. 618-622.

([15]) Dictionary of Literature Terms & Literary theory. Pp. 618-622.

(16) فتح أمريكا. تودوروف. مسالة الآخر صـ 259. ت بشير السباعي. سبنا للنشر. القاهرة. ط1. 1992.

عن سلطة سياسية؛ تمثل التمحور حول مركزية غربية Eurocentricity في تفسير التاريخ الشرقي وحضارته من منطلق نزوع متعالٍ، لكنْ – وفي نطاق الجهد المؤسساتي بكل مسارب سلطته تلك – فقد تمخضت عنه معطياتٌ كبيرة ليست بالضرورة تصب كلها في هذا النزوع التعسفي للاستشراق.

وإذ يدعو البحث إلى دراسة الخطاب فذلك من منطلق أن القوة المهيمنة للغرب لم تقم من دون الاعتماد على فعل/ الكتابة ؟ الذي يرسخ إيحاءات تنتج موقفا يدور في فلك المركز [17]. وعلى هذا فالاستشراق من منظور معرفي هو الخطاب الذي قد يخفي المركزية ليرتفع ويسجل لنفسه مساحة وثبوتا وتفوقا، وهو نزوع خفي يحقق السيادة حتى من دون ظهورٍ مباشر؛ لكن هذا الأداء لا يتحقق إلا بعد الإيحاء المستمر بأنه عمل علمي محايد ذا منهج رصين مدقِق.

ومنطقيا يعني الوصولُ إلى أدلة النقض ترسيخَ أدلةَ الإثبات؛ كما أن العلةَ تدور مع معلولِها وجودا وعدماً كما يقول علماء الأصول؛ لذا فالبحثُ في ذات الوقت يشكل دفاعاتٍ عن الاستشراق خارج نطاق المؤسسة، ويدخل في هذا أيٌّ جهد استشراقي قدم معطياتِه بمعزل عن قصديات الاستشراق المؤسساتي؛ الذي أساء إلى المتلقي شرقيا كان أم غربيا.

إذن تجدر معالجة مفهوم الاستشراق بتجاوز هاجس ثنائية الشرق والغرب، والتعامل معه بوصفه جهدا معرفيا خاضعا للنقد، وللرفض والقبول؛ بعد أن سلمنا بشيئين:

الأول: هو أن مكتسبات الاسشتراق الايجابية في أي مرحلة وأي لون كانت تعود بالنفع الإنساني لكل الأطراف.

والثاني: أن الاسشتراق صار له امتدادات ومتشابهات ومتلازمات ثقافية اتخذت من أهدافِه ومناهجه وخطاباته أدوات لها، حتى مع تغيير وتبديل مصطلح"استشراق Orientalism"إلى مصطلحات ومسميات أخرى، فموضوع حوار الأديان، وحوار

---

(17) Under the Sign of Orientalism: The West vs. Islam Author(s): Mahmut Mutman Source: Cultural Critique, No. 23 (Winter, 1992-1993), pp. 165-197

الحضارات، والآفاق السلطوية للعولمة وما يتمخض عنها من إعلام وجهود ثقافية هذه كلها لها امتدادٌ واسعٌ، وتشابه في آلياتِ الاستشراق المؤسساتي في السابق وفي الحاضر.

أثر الانحراف المنهجي في التواصل الحضاري

غالبا ما تتسلح السلطة (أي سلطة) بمقدمات أخلاقية تسوغ فعلها، وكذلك تفعل سلطة المعرفة؛ لأنها تحتاج على الدوام إلى غطاء يضفي على سلوكها طابعا تجريديا لا يبتعد كثيرا ع ن تلك الفضائل التي فصّل القول فيها الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه(1844-1900)؛"حيث يصنّع السادةُ فضائلَ يسبغون عليها هالةً من القداسة يصدقُها الناس؛ وهي تحمل في جوهرِها نقيضَ معانيها الأصلية، فهي أخلاق منتخبةٌ تعبر عن أخلاق السادة ومصالحهم قُبالة أخلاق العبيد"[18]؛ أي العامة الذين خضعوا لقيم وفضائل صنّعها لهم أولئك السادة.

وهكذا تفعل الأكاديمية فعلها لتخرسَ أيَّ معارضة لاستنتاجاتها ؛ بحجة أنّ هذه بحوث علمية؛ لا مجرد كتاباتٍ قابلة للنقض ، ويصل الأمر عند بعض المستشرقين إلى جعل نزوعهم المركزي المعبِّر عن مصالح السادة (بالمعنى النيتشوي) مهنة لها طابعها وثوابتها؛ فهي لا تقبل النقد، وترى أن ما تفعله هو شرف مهني؛ مع رفض أي نقد يصنِّف مناهجَها في خانة تمس نزوعها المركزي الخاضع لهيمنة سياسية. لذا نرى كيف اعترف احد ناقدي ادوارد سعيد: بان ه اضطرَّ إلى نقوده تلك حفاظا على شرف المهنة [19]. وشرف المهنة عنوان فضفاض ربما يعني به مصالح المؤسسة أو وهم الوطنية التي تستوجب معاداة الأخر الذي صنِّف مسبقا عدوا ومنافسا، أو ربما تعني الهالة الأكاديمية والمكانة الاجتماعية التي يتمع بها هو ومَن سواه؛ والتي تسبغ عليهم مؤسساتُ السلطةِ الجاه والمال؛ إذن فليبقى الاستشراق يمارس مهنيتَه ويسير في ركاب السلطة يوفر

---

(18) انظر. فريدريك نيتشه. أصل الأخلاق وفصلها. صـ 22. تـ حسن قبيسي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت. ط.1981.

([19]) Edward W. Said Orientalism Reconsidered. Cultural Critique, No. 1. (Autumn, 1985), pp. 99.

لها الغطاء الأخلاقي والعلمي؛ فهذا – وعلى وفق مفهومه – أمر ليس إلى التنازل عنه من سبيل، فأين مكانة المنهج العلمي وأين معيار الحقيقة والعلم لدى نخبة من المستشرقين الجدد على الخصوص !! وفي أحسن الأحوال فان منهج هذا المستشرق منهج قبلي يؤكد على أن مركزية الغرب لا تنازلَ عنه ا، وأن مصالح السياسة تقتضي الدعم الشامل حتى لو اقتضى الأمر تطويع النصوص لتصب في تشكيل صورة الأخر والتي اختصرها أخيرا هاجس الفوبيا بوصفها ذروة الخطاب.

إن التعسفَ في استخدام المنهج يسهم وبشكل فاعل في جعلِ أي توجُّهات علميّة في الدراسات الإنسانية – وخصوصا ذات العلاقة بالآخر – تقع بين جذبين متناقضين هما: الرفض والقبول والسلب والإيجاب ؛ هذا التعسف في استخدام المنهج هو الذي يحدد – غالبا – الموقف من معطيات البحث العلمي والاستشراقي على الخصوص ، هو الذي يعلل لمَ كانت مباحثُ قسمٍ من المستشرقين مشكوكا بنواياها وبقيمتها العلمية من لدن الآخر ، مما جعل الكثير من جهود المستشرقين تذهب سدى؛ من دون أن تصل إلى نتيجة تفيد كلا الطرفين: الشرقيين والغربيين على مستوى البحث في الموضوع، وعلى مستوى التواصل الحضاري.

يكشف تعسف المنهج لمَ تميز خطابُ الاستشراق عن باقي الخطابات بخصوصية تصنيفية؛ فظل يُنظر إليه على انه استشراق فحسب؛ لا بحوث علمية شأنها شأن أي جهد معرفي؛ فكانت جهوده عرضةً للرفض أو الارتياب، مع أن الواقع – وكما أُشير إلى هذا – يشهد بأن كثيرا من جهود الاستشراق قدمت معطياتٍ وكشوفاتٍ ليس من الإنصاف نكرانها.

ومثلما لجأت الكثير من بحوثِ الاستشراق إلى الإعمام في فرض التصورات والآراء؛ كذلك تعرضتْ جهودُها ومنتجاتها إلى رد فعل من لدن الآخر (الشرقيين)؛ فبمجرد أن يقال هذا بحثٌ لمستشرق يعني تصنيفه في خانةٍ لها ميزاتها ومخاطرها، وبهذا ذهبت معطيات كان من الممكن أن تجود بها مثل هكذا بحوث. والحق فإن هذا الخلل معقدٌ؛ يشترك في تفعيله الطرفان: المستشرقون من جهة والقراء الشرقيين من جهة أخرى؛ وكلٌ له مبرراته وأسباب تطرفِه؛ لكن الخلل الأكبر يتأتّى من الاستشراق ذاته عبر خطابه وعبر منهجه ذي المسحة القبْلية،

وهذا يشير إلى أن البحث معني تماما بالدعوة إلى دراسة مستحثات الانفصام الحضاري التي تشكل مناهج المستشرقين القسم الأكبر من منابعه الأولية.

قد يبدو الانحراف في مباحث المستشرقين على مستوى المنهج والخطاب أمرا مضرا بالنسبة للشرقيين فحسب؛ لكن الواقع – وفي حالة تسليمنا بأن غالب نصوص المستشرقين لم تكن موجهة إلى قارئ شرقي – يدلل على أن الخلل والتعسف الذي صدر عن مستشرق ما؛ مهما كانت أسبابه وتسويغاته؛ ففي النهاية أدى إلى النتيجة السلبية ذاتها بالنسبة للقارئ الغربي؛ خارج نطاق المؤسسة الداعمة لتوجه المستشرقين؛ لأن الغربيين وبوصفهم قراء لا مآربَ ذاتية لهم في تغييب الحقيقة؛ وفي النهاية سيطالهم الخلل في المنهج وفي الخطاب الموجَّه؛ فغياب الحقيقة وبأي وسيلة كانت ستؤثر في المتلقي بمعزل عن إثنيته ومعتقده؛ حتى في حال غازلتْ هذه المغالطات أو التعسفات أهواء القارئ الغربي ومشاعره، أو لبت ما تراكم في ذهنه من موقف استعلائي مركزي، أو غير حيادي تجاه الشرق والشرقيين.

يتكشف إذن – وعلى أساس البعد الاستراتيجي للمعرفة بوصفها معطيات بشرية مشتركة – أنَّ الخلل في مناهجها وقصدياتها؛ وبالتالي نتائجها لن يعود بالضرر على طرف دون آخر؛ فالانفصام الحضاري يتعمق بإحساس احد الطرفين بالغبن، وبالتعالي المقصود ضده، وبمصادرة الحقيقة أو تشويهها أو إخفائها، وهذا هو الشعور العام لدى الشرقيين تجاه الاستشراق؛ والجهد الذي تتبناه مؤتمراتُ التواصل الحضاري ذات الجذب أحادي الطرف.

إن هاجس الارتياب حالة تراكمية تكرارية من الإحساس بالغبن وبالانتقاص؛ تؤدي بالنتيجة إلى اتخاذ موقف سلبي من الصعب نزعه أو استبداله؛ وهذه طبيعة بشرية متأصلة حيث يؤدي التكرار والتلقين إلى تصنيع الموقف وجعله يتخذ إطارا جماعيا نفسيا؛ كذلك الإطار الذي تحدث عنه المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون(1841–1931) بخصوص الدوافع المشكِّلة لروح الجماعات، ومن هنا أسهم المنهج في قسم من الدراسات الاستشراقية المدعمة بالخطاب المتعالي في تعميق هوة الصراع الحضاري بين الشعوب؛ وقد كان بامكانه أن يفعل العكس. وعامة

الناس غالبا لا تتجشم تحري الحقيقة وإنما تأخذها جاهزة بطريقة أشبه ما تكون معلبات ثقافية؛ يرسخها التكرار، ففرط الاستعداد للتلقين من الصفات العامة في الجماعات وهو أمر معْدٍ [20]، والعامةُّ من الناس تأخذُ الاستنتاجاتِ؛ ولا يعنيها كثيرا التمحيص وطلب الأدلة.

إن الخلل المنهجي المفضي إلى تغييب الحقيقة أو تشويهها لن يمس الشرقيين فحسب؛ بل أن زخمه بعيدَ المدى أثَّر وسيؤثر سلبا على الجميع بوصفهم شعوبا يتقاسمون واجباتهم وحقوقهم الإنسانية بمعزل عن أي تصنيف سياسي أو أيديولوجي؛ أو أي تصنيف كان. وما يتم تصنيعه من موقف واتجاه ويرسخ في الأذهان ليس من السهل تبديله أو تلافي عقباته الأخلاقية والإنسانية والمعرفية.

كذلك يسهم التمييز الإثني والديني الضاربة جذورهما في الذهن الغربي في إحداث خلل في عملية التواصل الحضاري مع المجتمعات الشرقية، هذا الخللٌ يفعّل الشرخ النفسي بين الغرب والشرق على السواء مهما ادّعت وسائل الدعاية السياسة "البروباجندا Propaganda"أنها أسهمت في مضمار التواصل والانفتاح على الآخر؛ فالرؤية قصيرة المدى لن ترى ما يكتنف هذا الشرخ من خطورة؛ لكن – وعبر حركة التاريخ – كان لمثل هذه العوامل نتائج وخيمة لن يمنع وقوعها أو يخفف من وطئتها تفوقُ طرفٍ على آخر.

ولنا أن نتساءل هنا هل بقى الأثر السلبي في ذهن الشرقيين محصورا في عملية التلقي مكونا ردودَ أفعالٍ نفسية وثقافية؛ أم تطور إلى مراحل ومستويات أخرى؛ بفعل هاجس العداء وهضم الحقوق وكبت الحقيقة؟.

في الواقع وبعملية متراتبة تحولت عمليةُ التلقي السلبي لخطاب الاستشراق – المتمخض عن المناهج القبلْية – لدى الإنسان الشرقي وعبر المقالات والخطب الدينية والثقافية والبحوث ذات الطابع الأكاديمي إلى خطاب يشبه في طبيعته الأثر التحريضي ضد الشرقيين والذي رسخهُ في أذهان القراء الغربيين مستشرقون مارسوا

---

(20) ينظر: غوستاف لوبون، روح الجماعات. صـ 26. وما بعدها. تـ عادل زعيتر،(القاهرة، دار المعارف، 1950)، وفيه توسع وتحليل للأمور النفسية والإجرائية التي تسهم في تكوين مواقف الجماعات النفسية والتي يعني بها الشعوب والمجتمعات.

التعسف المنهجي والخطاب المراوغ، أي أنتج وسيُنتج على الدوام ردُّ الفعلِ هذا بحوثا شرقية وخطابات مشحونة بهاجس التحريض، سينتج شكا دائبا بنوايا الغرب جملةً؛ وربما من دون تمييز أحيانا. وليس بغريب أن تمتد آثار هذا الانفصام إلى مجالات أخرى تخرج إلى مستويات الصِدام بكل سبلها وأشكالها؛ فهذه الآثار تعمل عمل القوة الميتافيزيقية في حركة التاريخ؛ أي كفعل العوامل الكامنة غير الظاهرة في الفعل التاريخي؛ لتنفجر فجأة عن نتائج ومتغيرات مروعة. "حيث هناك خلف الأسباب القريبة أسباب بعيدة تخلع على تفسير التاريخ طابعا كونيا ميتافيزيقيا"[(21)]؛ فالكمون ظاهرة خطيرة في الفعل التاريخي؛ وليس لأحد مصادرتها أو التقليل من خطورتها، وهذا ما لا تريد أن تستشعر أثره المؤسسات السياسية في الغرب؛ فهي تؤمن ضمنا بمقولة المؤرخ الإغريقي توسيديد (460–400 ق.م) حين يبتر المفهوم التاريخي بقوله:"إن حدثا مهما لم يقع في العالم قبل عصره"[(22)].

من المنهج الاستشراقي إلى استراتيجيا السياسية

إن التعارض الداخلي بين أسباب الحياة والموت في أية عملية بايولوجية هو الذي يؤدي بالكائن إلى قمة نموِّه ثم إلى نهاية تحلله، أما في المجال الاجتماعي فإن هذه الحتمية محدودة بل مشروطة، لأن اتجاه التطور وأجله يخضعان لعوامل نفسية زمنية؛ يمكن للمجتمع المنظم أن يعمل في نطاقها حين يعدل حياته ويسعى نحو غاياته في صورة متجانسة منسجمة. والعكس صحيح تماما فان التعارض الدائب يؤدي إلى الانحلال والتفكك طال الأمر أم قصر [(23)]. ولنا أن نتساءل لو أجرينا عملية إحصائية لنرى إلى أي مدى أسهم المستشرقون في توصيل عرى اللحمة بين الشرق والغرب، وإلى أي مدى عكسوا في مراياهم صورة الشرق للغرب أو الغرب للشرق بعيدا عن أي تأثير ومحرض ونزوع نفعي؛

---

(21) ينظر: مالك بن نبي،وجهة العالم الإسلامي. وفيه شرح مفصل لأثر العوامل الميتافيزيقية في تشكيل حركة التاريخ. ترجمة عبد الصبور شاهين،(القاهرة، مؤسسة الأهرام، 1998)، صـ 24.

(22) المصدر السابق. صـ 27.

(23) المصدر السابق. صـ 27.

سنجد أن هذا قليل، وإنما مناهجهم جعلت من الشرق معملَ أنثروبولوج يإ معرفية قبلية تضع نتائج يُبحث لها سلفا عن مقدمات، على وفق نزعة دوكماتية Dogmatic ظاهرة.

وهكذا نرى كيف يمتدٌّ"فعل"الاستشراق إلى تخوم بعيدة تطال حتى الدعوات العالمية للتواصل الحضاري؛ ليجهضها في مهدها، ويسهم في تعميق الشرخ بين الجنوب والشمال؛ بين الشرق والغرب؛ لتترسخ بالتالي واقعة خطيرة مفادها: أن جهد الاستشراق استخدم في التنظير والتهيئة لفصامٍ حضاري عميق؛ بينما هو يدعي على الدوام خلافَ هذا تماما.

وعلى الرغم من كل هذا فالبحثُ العلمي ينبغي ألا يبقى يدور دورانَ الرَحى فيهمل العوامل الأخرى التي تسهم في تفعيل ما يتمخض عنه الانحراف المنهجي الاستشراقي، وما يسوغه خطابه المصنِّع للموقف، فلا يصح الادعاء بأن الخلل في المنهج الاستشراقيَ وخطابه كانا السبب الأوحد في تعميق الشرخ الحضاري والنفسي بين الشرق والغرب عامة، فمن المؤكد أن التركيبة الذهنية للشرقيين وهم تحت طائلة التخلف التقني والحضاري الذي امتد إلى حضاراتهم، ثم الاستفزاز القيمي والتبدل الحاد في معايير حياتهم والتي أتت قسرا متزامنة مع النزوع الاستعماري والتدخل في شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ كل هذه شكلت هزات عنيفة وإرباكا جعلا من العسير استيعاب الغرب كما يُعرض عليهم؛ خصوصا وهو يتمثل صيغة المتفوق المستعمر في غالب الأحوال، ولاشك فإن ذلك الخلل كان احد مروجي واقع ألازمة؛ لينشط فعل الاستشراق المؤسساتي، أو المنحدر من أمزجة شخصية وثقافات فردية لم تتخلص من وطأة نظرتها المعلبة عن الشرق؛ فهي ما تنفك تعكسها في ذهن القارئ الغربي بطريقة آلية معلنة أو متخفية وراء منهج متعالٍ قبلي، وخطابٍ موجَّه.

إن الحديث عن هذا الخلل غالبا ما يُقابل عمدا من لدن المؤسسات السياسية بالتغييب والإخراس؛ ويوضع بدلا عنه – خصوصا وقت ألازمات – تساؤلات وتبريرات معلبة، أو تبدأ سلسلة من التحليلات النفسية والعقدية للأديان تعتمد على نبش التراث لاستخلاص أو اقتطاع نصوص ترسخ وازع الكره للغرب

والارتياب فيه؛ أو تضخم وجهات نظر "متطرفة "تصدر عن أناس سرعان ما يوصَفون – وبتعميم حاد – على أنهم أصوليون، إرهابيون، متخلفون،.... وبهذا يتشكل الرهاب[24] phobias المدعم بميديا[25] خطيرة لها بأسٌ وسطوة من المروِّع إنها تصدر عن جهات سياسية تمتلك ثقلا خطيرا في حركة التاريخ الحديث، وهذا الرهاب غالبا يستمد مواده الأولية ودعمه المعرفي من تصورات قسم من المستشرقين. وليس من العسير على المتخصصين رؤية التواشج بين تصورات المستشرقين عبر مناهجهم وخطاباتهم وبين "ميديا"الإعلام ومصنعي الاتجاه، لكن هل حقا يُجاب في كل مرة عن مثل هذه الاتهامات الفجة؛ ويوضع للحد منها حلولا حيادية أكثر إنسانية ومسؤولية ؟ إن مثل هذا لم يحصل إلا على نطاق ضيق،

(24) **الرِهاب** أو الفوبيا phobia : الخوف الشديد الذي يحدث للبعض عند مواجهة مواقف معينة حقيقية أو وهمية. ول هـ ثلاث مستويات تتداخل مع بعضها أو تفترق مشكلة مكونات أساسية للحالة، أولها المكون النفسي الذي يمتاز بشعور الهلع الذي يصيب الفرد عند التعرّض للشيء المرهوب، وهناك أيضا المكون البدني الذي غالبا ما يتمثل بخفقان القلب واضطراب التنفس... لكن اغلب المكونات هو المكوِّن السلوكي الذي يهدف إلى تفادي الشيء المرهوب بالابتعاد عنه؛ أو بمهاجمته بقسوة بغية تفاديه. وتحدث حالات الرهاب في غالب الأحوال بالتعلم والاكتساب من الآخرين، فالأم التي تهاب القطط تنقل لأولادها هذه الرهبة، وبالتلقين والتكرار تتشكل لدى الفرد أنواع مختلفة من الرهاب تخرج إلى مستوى عقيدي أو عرقي خطير الأثر. إن مصطلح إسلاموفوبيا لم تفرزه أحداث سبتمبر 2001 حيث وجد عديد من المسلمين أنفسهم في الغرب موضعا للشبهات والتحرش والتمييز العنصري، وأشيع بين الغربيين أن الإسلام عقبة في حد ذاته معارض للغرب ، بل كان سابقا على هذه الأحداث، إذ تم من نحته من لدن مؤسسة راني ماد Runnymede الفكرية المستقلة في بريطانيا 1997 وذلك لتوصيف وضعين مختلفين من التمييز العنصري وذلك إزاء الكيان الهيكلي العام للكتلة (الأمة الإسلامية)، وأيضا بالنسبة للتعصب ضد المعتقدات الثقافية والدينية لدى المسلمين. **انظر** : المنظور السريولوجي الحضاري للإسلاموفوبيا . أ.د.صلاح عبد المتعال. العدد 533. 2010. مجلة الوعي الإسلامي – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت

(25) الميديا: (وسائل الإعلام) وهي المثرات الاعلامية المرئية والسموعة منها والتي غالبا ما تعرض على الناس لتصنيع اتجاهاتهم ومواقفهم تجاه الأشياء والأحداث. وأخطرها وأكثرها شيوعا في العصر الحاضر الميديا المرئية التي تمرر خطابها عبر مؤثرات نفسية وجمالية متنوعة.

وإذا كان حصل فانه استخدم خطابا ذرائعيا يبتغي في النهاية إما تمرير حلول أحادية تجيَّر لمصلحة أصحابها؛ أو هي مجرد تلميع صورةٍ يبتغي بها أصحابُها النأي عن أية إدانة أخلاقية؛ جرَّاء التعسف في المواقف السياسية والأيدلوجية المعلنة أو المتخفية.

ومن الضروري في هذا المقام لفت النظر إلى إن دراسة "فعل الاستشراق عبر"تحليل المنهج"وتفكيك عرى المركزية الغربية في مقاصد المستشرقين قد تعني الاقتراب من استنتاجات إدوارد سعيد البنيوية؛ مع أنها لا تمثل المنهج البنيوي تماما؛ لكنْ البحث يفترق عن استنتاجات سعيد في إعماماته الحادة عن الاستشراق؛ حيث يقول عنه:"أنه استجابة للثقافة التي أنتجته أكثر مما هو استجابة لموضوعه المزعوم؛ الذي كان أيضا من نتاج الغرب"[26].

إننا لن نفعل الكثير إذا حملنا مقولة سعيد تلك على إطلاقها؛ مع أنَّ رؤيتَه خارج نطاق الاعمام حقيقةٌ لا يطالها شكٌّ ؛ خصوصا فيما يتعلق بالاستشراق المؤسساتي ذي الصبغة اللاهوتية أو الإيديولوجية. كان ينبغي على سعيد أن يفصَّل القول في تحليل التطورات التي لحقت بالاستشراق على مستوى المنهج؛ ففرق كبير بين استشراق كان همه ووازعه الأكبر إحصاء ورصد الحوادث ثم تشكيل التصورات عنها؛ وبين استشراق لاحق انصبت جلَّ عنايته على استثمار الموضوعات التي أنتجها المستشرقون السابقون وتسخيرها لتصنيع صورة الآخر تصنيعا إجرائيا من بعد ما تم تصنيع الشرق "فيلولوجيا "على وفق ثقافة الغرب وأيدلوجيته.

في مراحل الاستشراق الأولى كان الوازع الديني ثم الوازع الاستعماري يبتغيان الاحاطة بالشرق لفهمه ومعرفة طرق التعامل معه والتأثير فيه، ومحاولة تصنيعه على وفق ما يتناسب مع الأحوال والأمزجة والمصالح، بينما في المرحلة اللاحقة وخصوصا منذ انتقال جهد الاستشراق إلى أمريكا أخذت دراسات المستشرقين منحىً استراتيجيا يتعامل مع كيان هو أشبه بالعدو الذي ينبغي ألا تنام

---

(26) الاستشراق،ترجمة: كمال أبو ديب، 55. ط2،(إيران،دار الكتاب العربي،1984).

عنه عين. وبلغ هذا النمط أوجَّ مستوياته بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي وبروز العالم الإسلامي؛ النقيض الأكثر خطورة لقيم الحضارة الغربية المتمثلة بنظام أمريكا العولمي؛ بحسب ما يروج الإعلام الغربي المؤسساتي. وهذا ما أوغل فيه سعيد حتى وصل إلى حالة متضخمة اختصرت موضوع النقد الاستشراقي في هذا المجال. لذا سينأى البحث قليلا عن هذا الإطار ؛ ليركز على دور المنهج في تشكيل نمطية المعرفة وأثره في لحمة أو تغييب التواصل الحضاري؛ أي أن تاريخانية [27] الفكر ينبغي أن تأخذ حيزا مناسبا كي يتم فهم ديناميكية فعل الاستشراق من قَبل الشروع بتفكيك منهجه، فمنذ القرن التاسع عشر شهد الخطاب الاستشراقي توجها ملفتا للنظر نحو السياسة والقوة بتحول العديد من المستشرقين إلى الفلك السياسي؛ فطبعوا الخطاب بطابع زاوج بين المعرفة والاستراتيجيا السياسية. فمثلا انتقل المستشرق الهولندي سنوك هورجرونج (1857–1936) من صفته كمستشرق محترف في دراسته للإسلام إلى مستشار الحكومة الهولندية في الشؤون الإدارية لمستعمراتها الاندونيسية، كما عمل كل من المستشرق البريطاني دنكان بلاك ماكدونالد(1863–1943) والمستشرق الفرنسي لويس ماسنيون (1883–1962) في المستشارية بوصفهما خبيران بالقضايا الإسلامية، ومن هذا المنطلق فقد شهد الخطاب الاستشراقي عملية تحول أحدثت مزاوجة بين الجانبين المعرفي والسياسي[28] والاجرائي.

وكثيرا ما كان الخطاب الاستشراقي ينتقي الأمور التي كانت مثار اهتمام الساحة الغربية آنذاك، فكان الاستشراق يصنّع فيلولوجيا تمس عصب الاهتمام الغربي أو باهتماماتها العامة، فسعى إلى تقديم الموضوع والنصوص على وفق صياغات تتجاوز الحقائق العلمية؛ بل عمل على تطويع معطيات الفيلولوجية بعمليات

---

(27) **التاريخانية** شعور الذات بما حققته من مظاهر نشاطاتها المختلفة. والشعور التاريخي هو الذي يوضح تاريخية الآني ويتبدى في كل حالة أريد فيها أدراك العلو؛ أي الوعي بسبل الخروج عن مواقف معينة والعلو عليها ابتغاء تحقيق حالة جديدة. أنظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. د. عبد المنعم الحفني. صـ 179.

(28) ادوارد سعيد، الاستشراق،221.

متداخلة من التقطيع والحذف وإدخال تأويلات غريبة في محاولة عنيدة لجرف الفعل التاريخي من مساره الطبيعي إلى مسار آخر مختلف ينصب في معين السياسة الغربية.

وهنا تطلب الأمر خطابا ومنهجا لصياغة بعض الأسس والمفاهيم التي تنحدر في الأصل من صلب المعرفة الشرقية أو الإسلامية سواء أكانت تلك المعرفة ترتبط بأمور الدين أو الفقه أو التاريخ أو الأدب.... فمثلا كان المستشرق البريطاني السير توماس ارنولد(1864–1930) قد ربط بحثه في موضوع الخلافة الإسلامية بتاريخ يعود إلى عام 1787، ومحور ذلك الربط التاريخي يعود إلى إيصال فكرة للعقل الغربي مفادها أن الحركات الإسلامية المناهضة لفكرة إلغاء الخلافة العثمانية في اسطنبول عام 1924 ليس لديها أساس شرعي إسلامي، لكونها لا تستند إلى أي برهان تاريخي يشرعن فكرة انتقال الخلافة من المماليك إلى العثمانين، وللتدليل على فكرته اعتمد على منهج الشك المدعم بأدلة وشواهد ضعيفة ومتضاربة وردت في بعض مصادر الفقه الإسلامي تدين شرعية الحركات الإسلامية في وقتها بهدف حماية مصالح بلاده في المستعمرات الشرقية. ومن هذا المنطلق غدا ذلك الخطاب في وقته من القوة بحيث لم يستطع كل من جاء بعد ارنولد من المستشرقين تجاوز الحدود التي رسمها ذلك الخطاب وحتى الوقت الحاضر [29]. كما لا يحتاج الباحث إلى كبير جهد ليدرك مثلا العلاقة العميقة بين كتابات المستشرق اليهودي برنارد لويس(1916) (الأخيرة منها خاصة) وبين الاستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية التي تشنها أمريكا على الشرق الإسلامي؛ فـ لويس بعد انقلابه الظاهر من مستشرق أكاديمي عريق إلى مجند في ركاب السياسة حطم كل مسارات فهم "الفعل التاريخي "ثم قولبه في نسق حتمي يستوجب من الغرب موقفا حادا مرتابا وشوفينيا أحيانا. وهذا لا ينفي ما كتبه من كتابات أعطت في وقت ما للمسلمين حقهم وأنزلتهم منزلتهم. لكنه استخلص في كتاباته اللاحقة فكرةً يوحي مفادُها: أن هناك فئات من المسلمين يرزحون تحت

([29]) Hogarth," Review of Thomas Arnold , The Caliphate", IA, 1925, Vol., 4, p.48.

وطأة عبء ثقيل من الكراهية الموجهة للغرب على التحديد؛ لتحمل رفضا شاملا لكل مكتسبات الحضارة الغربية برمتها(30). ويحاول الإيغال في تسويغ خطابه هذا بإيجاد جذور أخرى لهذه الكراهية لا في المعتقد الإسلامي وتاريخه؛ بل في الوافد على المسلمين من الإرث النازي المحتقِر للحضارة الأمريكية والتي يصورها على أنها حضارة خاوية لا فلسفة لها ولا روح ولا قيم (31). وهذا خطاب مراوغ يستهلك فيه مشاعر القراء في عملية استدعاء خفيّة تحاول الربط بين النازي وبين الإسلام؛ ربطا نفسيا يقع القارئ ضحيته، ليتشكل لديه هاجس الفوبيا؛ فمن لا يعرف الإسلام ليتذكر إذن فظاعة النازي، هذا هو الإيحاء التي حملته لغة لويس. وهكذا يتحول المنهج الاستشراقي من وصفٍ لمعالم الحضارة الإسلامية لينتهي بقولبة هذا التاريخ في سياق تاريخي سياسي جديد؛ فكان الإسقاط أسهل الطرق لنفي الآخر؛ بينما رسخ الاستدعاء الذهني صورة جاهزة يمتلئ بها ذهن السامع فلا يحتاج إلى مزيد شرح وتفصيل لتحديد موقفه من الإسلام. وبهذا يسهم الخطاب والمنهج القبلي بتدمير التواشج التاريخي ليختلق حالة الفوبيا كنتيجة تطورية للإسلام؛ وهو لا يعالج الأسباب التي تتسبب في كره المسلمين لمضطهديهم ومستعمريهم؛ وإنما يحملها للمعتقد الإسلامي بصيغة آلية تنفي عن الغرب أي تبعة؛ ثم يحاول بطريقة أخرى رد مشكلة الانفصام بين الشرقيين والغربيين إلى الاستعمار الأوربي القديم(32).

وهنا يتَّحد كل من المنهج والخطاب ليرسخا قصدية "فعل الكتابة" في ذهن القارئ، عبر استعمال جمل إخبارية وأدلة وصفية سريعة ذات منطق تبسيطي وذي صبغة مطلقة تفضي إلى اختلاق حالة الفوبيا كطريق مضمون لإقناع القارئ.

إن ذروة منهج لويس وخطابه تنتهي عند دانيال بايبس؛ حيث يصبح كل تاريخ الإسلام مشكلة ذاتية لا يمكن حلها من الداخل بل من الخارج، وعلى

(30) الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربي من وجهة نظر أمريكية. صـ 11. برنارد لويس. إدوارد سعيد. دار الجيل. بيروت. 1994.

(31) المصدر نفسه. صـ 18.

(32) المصدر نفسه. صـ 19.

السياسة الأمريكية أن تقوم بهذا الدور نيابة عن المسلمين؛ فالمسلمون ليسوا فقط عاجزين عن فهم سواهم؛ بل عاجزون عن رؤية أنفسهم؛ وهذه مقولات سيعلن عنها فوكوياما بوصفها حتميات فلسفية مفروغ منها.

أما دانيال بايبس في كتابه: في"سبيل الله In The Bath of God"فيرى أن دراسة (القرآن) ليست بكافية لمعرفة الإسلام وأحوال المسلمين؛ بل من الضروري قرأءة تاريخ الإسلام وشريعته بدقة للكشف عن أحوال المسلمين الذين جاء هو لمساعدتهم؛ لأن المسلمين المتطرفين معادين للغرب؛ فهم يعيشون على هاجس الانتقام لعدة قرون عانوها من الازدراء(33). والمعركة ضد هؤلاء ليست دعوة لصدام الحضارات؛ بل هي معركة من أجل النضال دفاعا عن روح الإسلام؛ وتطوير نسخة منه تتوافق مع الحداثة(34).

لا تبدو طروحات بايبس رغم خطابها الأخلاقي وهيمنة فكرة المخلّص (بالمعنى اللاهوتي) مجندة لأغراض المعرفة ؛ أو لإيجاد حلول لمشكلات إنسانية عالقة؛ بل لخدمة دولة عدوانية يحاول هو الدفاع عن مكتسباتها ومصالحها. وهو إذ يتحدث عن فوضى الإسلام، وإحساسه بالدونية، ونزعته الدفاعية (35)، فلِيبرر مركزية الغرب ويعطي للوصاية (الانتداب) بعدا أخلاقيا: وكأنّ الإسلام ذلك الشيء اليسير، الذي لابد من استيعابه وتصنيعه من جديد.

"يكتب بايبس استنادا إلى الإشاعة ويتحدث عن مادة لا برهان عليها، سوى"القيل وقال "، وحفنة من الأخبار. إن بايبيس يعجز عن إخفاء التعصب وطمس معالم الأحادية، فالإسلام لديه كيان متقلّب وخطير، وحركة سياسية تتدخّل في شؤون الغرب ! وتبذر الاضطراب فيه. وجوهر كتابه لا يقتصر على إحساسه النفعي الشديد بل يتعدّى إلى أطروحته التي مفادها : أنَّ المسلمين أنفسهم أسوأ مصدر لتاريخهم. وصفحات في كتابه "في سبيل الله"تعجّ بالإشارات إلى عجز

(33) In The Bath of God. Islam and Political Power. Daniel Pipes. with a new preface by the author. Second Printing. Transaction Publishers. New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.) 2003.Pp. 297.

(34) المصدر السابق. 7.

(35) المصدر السابق. صـ 297.

المسلمين عن تمثيل ذاته م، وهي الأمثولة الأكثر شيوعاً بين المستشرقين الجدد : لذا لابدّ أنّ يمثّلهم آخرون يعرفون عن الإسلام أكثر مما يعرف ال مسلمون عن انفسهم[36].

من المفيد الإشارة هنا إلى مراوغة المنهج فالمعرفة تحتاج بالفعل إلى تأمل وتنوع في مشارب الثقافة ومستويات الموعي، ولإنْ يفكر شخصان أو ثلاثة في أمرٍ فلاشك سينتجان معرفة اقرب إلى الصواب، والآخر سيعطيك فرصة لمعرفة عيوبك التي لا تراها عينك، وخطاب بايبس يشرعن له القيام بهذا الغرض. وبهذا يضع قانونا أخلاقيا يدعم منهجه عبر خطاب يعج بدلالات السلام والتعايش والتوافق والتحديث والتطور، ليستخلص قانونا مفاده: لا تفكر... لا تعترض فـلأنَّ الخارجيين بطبيعتهم أكثر إحساساً بك أنت الداخلي ، والإسلام يحتاج إلى من ينظر إليه من خارج وهذه المهمة الغربُ أولى بها . ثم يتوقف بايبس ليأتي المفكر الأمريكي فرنسيس فوكوياما شرقيا مستغربا ينظّر هذه الأفكار ويخرجها عن سذاجتها ويعطيها بعدا فلسفيا يملأ فراغ الأيدولوجيا الإمبريالية ليحيل حلول بايبس تلك إلى مضان فلسفية تمتد إلى الفيلسوف الألماني فردريك هيجل(1770–1831) والفيلسوف الفرنسي الكسندر كوجيف(1902–1968). وهكذا كتب كتابه نهاية التاريخ The End of History أي أن حضارة الإنسان وصلت ذروتها في النظام العالمي الجديد، فلا حاجة بعدُ إلى تنظير وفلسفة فهنا وفقط هنا ذروة النمو والتكامل وعلى الجميع ترك حركة التاريخ تأخذ مجراها. "ليس هناك آيديولوجية أو عقيدة يمكن أن تحلّ محلّ التحدِّي الديموقراطي الغربي الذي يفرض نفسَهُ على الناس، لا المَلَكية، ولا الفاشيَّة ولا الشيوعيَّة ولا غيرِها."[37]. ها هنا ذروة التاريخ !

لنتأمل الحقائق على الأرض وسنرى أنْ لا وجود لدى بايبس – كما يقول ادوارد سعيد – ولا لدى لويس وفوكوياما أيّ تفاعل بين آراء الغرب وآراء

---

(36) Orientalism Reconsidered. Edward W. Said Cultural Critique, No. 1. (Autumn, 1985), pp. 97.

(37) ينظر: فرنسيس فوكوياما، مقدمة نهاية التاريخ، صـ 19. ت حسين الشَّيخ، (بيروت، دار العلومِ العربية.

الخارجيّ: لا حوار، لا اعتراف متبادل ؛ ليس ثمة سوى التأكيد السهل على تلك المنزلة الرفيعة التي يحوزها صانع السياسة الغربي، بفضل كونه غربياً، وأبيض، وغير مسلم[38]. أما معالجة مشاكل الشرق الإسلامي بما فيها التطرف والعدوانية ضد الغرب كما يقولون، والفساد السياسي والاقتصادي ودعم الديكتاتوريات، وطمس الحريات الحقيقية والإصلاح التعليمي والكف عن نهب الحقوق وإثارة نعرات الطائفية والاقليات، فهذه أمور لا يعتدون بها ولا يشير إليها إلا إشارات هزيلة.

وتأتي خطورة المنهج في دعم مثل هذه الطروحات – التي تركب موجة المزج بين السياسة والتاريخ – بكونها موجهة إلى قطاع واسع من القراء الذين لا يرون في الإسلام ثقافةً ودينا ومعتقدا له جذوره ورقيه وعمقه وانه منهج لما يزيد على مليار مِن البشر، بل شيئاً بغيضاً مسبّباً للإزعاج؛ ومعظم القرّاء سيقرنون، في أذهانهم هاجس الفوبيا التي تتشكل باسم المهج العلمي والخطاب الذي يشتق الحاضر من تاريخ كُتب سلفا بطريقة معينة. وهكذا تتحول الفيلولوجيا إلى معمل منهجي ينتج خطابا يجيِّر لصالح السياسة وعلى وفق لغة بارعة في طمس الحقيقة وفي تشيكل صورة الآخر لصهره في بوتقة الفعل التاريخي الغربي.

هكذا يتحول فعل الاستشراق وعلى وفق الأمثلة التي مر ذكرها إلى منتَج ذي طابع شعبي في الغرب وفي الشرق كليهما من خلال ميديا الإعلام ومن خلال التدخل الإجرائي عبر المؤتمرات والتعليم والسياسة وحتى التدخل العسكري؛ لذا فإن خطاب الاستشراق الجديد ومنهجه المراوغ بحاجة دائمة ودائبة للتفكيك عبر الجديد من نظريات التحليل والقراءة؛ للكشف عن مقاصده وأهدافه وللإسهام في تحاشي مؤثراته وتبعاته الآنية والقابلة.

خاتمة

تبدى من خلال البحث أنه تمحوره حول الدعوة إلى مغايرة إجرائية في قراءة الاستشراق باستبطان نصوصه من داخل؛ للكشف عن فعله فيما وراء النص

---

(38) المصدر السابق.

المباشر؛ بمعزل عن الانشغال بنقد الأفكار بذاتها؛ فالانشغال بها على مستوى النقد الفكري له مجالات أخرى وهو متمم للدعوة التي يطرحها هذا البحث.

قد يبدو الانحراف في مباحث المستشرقين على مستوى المنهج والخطاب أمرا مضرا بالنسبة للشرقيين فحسب؛ لكن الواقع – وفي حالة تسليمنا بأن غالب نصوص المستشرقين لم تكن موجهة إلى قارئ شرقي – يدلل على أن الخلل الذي صدر عن مستشرق ما؛ مهما كان أسبابه وتسويغاته؛ ففي النهاية أدى إلى النتيجة السلبية ذاتها بالنسبة للقارئ الغربي؛ خارج نطاق المؤسسة الداعمة لتوجه المستشرقين؛ لأن الغربيين وبوصفهم قراء لا مآربَ ذاتية لهم في تغييب الحقيقة؛ وفي النهاية نالهم الخلل في المنهج وفي الخطاب الموجَّه في جهد المسشترقين؛ فغياب الحقيقة وبأي وسيلة كانت أثرت في المتلقي بمعزل عن إثنيته ومعتقده.

يتكشف – وعلى أساس البعد الاستراتيجي للمعرفة بوصفها معطيات بشرية مشتركة – أنَّ الخلل في مناهجها وقصدياتها؛ وبالتالي نتائجها لن يعود بالضرر على طرف دون آخر؛ فالانفصام الحضاري يتعمق بإحساس احد الطرفين بالغبن، وبالتعالي المقصود ضده، وبمصادرة الحقيقة أو تشويهها أو إخفائها، وهذا هو الشعور العام لدى الشرقيين تجاه الاستشراق؛ والجهد الذي تتبناه مؤتمراتُ التواصل الحضاري ذات الجذب أحادي الطرف.

وهكذا يمتدُّ"فعل"الاستشراق إلى تخوم بعيدة تطال حتى الدعوات العالمية للتواصل الحضاري؛ ليجهضها في مهدها، ويسهم في تعميق الشرخ بين الجنوب والشمال؛ بين الشرق والغرب؛ لتترسخ بالتالي واقعة خطيرة مفادها: أن جهد الاستشراق استخدم في التنظير والتهيئة لفصامٍ حضاري؛ بينما هو يدعي خلافَ هذا تماما.

ويشكل المنهج أحد الأسس الداعمة لخطاب الاستشراق وقصديته، وهما الأساس الأول في فعل الاستشراق؛ إذ يدخل المنهج في توجيه نتائج البحث لأنه عمل إجرائي، غالبا ما أفضى المنهج غير المناسب إلى تعارضٍ مع القوانين العلمية لينتهي إلى العجز عن الوصول إلى الحقيقة.

وكثير ما كان الخطاب الاستشراقي فريسة سهلة لوهم العلمية والرصانة الأكاديمية؛ مدعيا القدرة على تفكيك بنية النص الشرقي والولوج إلى مكامنه

الفيلولوجية، وهذا الوهم هو ما كان يبعد الخطاب الاستشراقي عن موضوعيته ويوقعه في نطاق الحدس، ومما عزز واقع ذلك الانحراف محاولة الخطاب خلق نمط ذهني وإضفاءه على تأويلاته التي غالبا ما كانت تقع تحت وطأة ضحالة النسق المنهجي والتنظير.

ولقد تأسس خطاب الاستشراق الجديد على أهداف إستراتيجية أوسع مما كانت عليه في السابق مع ظهور دعوات راحت توهم بانتفاء استخدام مصطلح استشراق لأنه يمثل حمولات تلويخية وتبعات بات من الجدير صرف الذهن عنها؛ فعمل قسم من الخطاب الجديد على تشكيل منظومة من "الأسس الاستشراقية لتطويع العقل الغربي نحو آلية مبرمجة عن الشرق تديرها المؤسسة الاستشراقية ". ووفقا لها احتاج فعل الاستشراق الجديد صياغة خطابه على "تمثيلات قائمة على منهج يقوم بإسقاط الرؤية الغربية المعاصرة للحركات الإصلاحية الغربية، على التراث الإسلامي انطلاقا من خلفياتهم التاريخية".

إن سلطة المعرفة في الغرب لم تقم من دون الاعتماد على فعل/ الكتابة ؟ حيث يرسخ (فعل الكتابة) إيحاءات وتصورات لا تنتج سوى موقف لا يتجزأ من السلطة والمركز. وعلى هذا فالاستشراق من منظور معرفي هو الخطاب ذاته؛ الخطاب الذي يخفي موضوع المركزية ليرتفع ويسجل لنفسه مساحة وثبوتا وتفوقا، وهو نزوع خفي يحقق السيادة حتى من دون ظهورٍ مباشر؛ لكن هذا الأداء لا يتحقق إلا بعد الإيحاء المستمر بأنه عمل علمي محايد ذا منهج رصين مدقِق. وهكذا تفعل الأكاديمية فعلها لتخرس أي معارضة تجاه استنتاجاتها بحجة أن هذه بحوث علمية؛ لا مجرد كتاباتٍ عادية قابلة للنقض؛ بل يصل الأمر عند بعض المستشرقين إلى جعل نزوعهم المركزي وتعبيرهم عن مصالح السادة (بالمعنى النيتشوي) مهنة لها طابعها وثوابتها؛ فهي لا تقبل النقد، وترى أن ما تفعله هو شرف مهني لابد من الدفاع عنه؛ مع رفض أي نقد يصنِّف استنتاجاتها في خانة تمس نزوعها المركزي.

إن التعسفَ في استخدام المنهج يسهم وبشكل فاعل في جعلِ أي توجُّهات علميّة في الدراسات الإنسانية – وخصوصا ذات العلاقة بالآخر – تقع بين جذبين

متناقضين هما: الرفض والقبول والسلب والإيجاب ؛ هذا التعسف في استخدام المنهج هو الذي يحدد – غالبا – الموقف من معطيات البحث العلمي والاستشراقي على الخصوص ، هو الذي يعلل لمَ كانت مباحثُ قسمٍ من المستشرقين مشكوكا بنواياها وبقيمتها العلمية من لدن الآخر، مما جعل الكثير من جهود المستشرقين تذهب سدى ؛ دون أن تصل إلى نتيجة صالحة تفيد كلا الطرفين الشرقيين والغربيين على مستوى البحث في الموضوع، وعلى مستوى التواصل الحضاري.

يسهم الخطاب والمنهج القبلي بتدمير التواشج التاريخي ليختلق حالة الفوبيا كنتيجة تطورية للإسلام؛ وهو لا يعالج الأسباب ولا الدوافع التي تتسبب في كره المسلمين لمضطهديهم ومستعمريهم؛ وإنما يحملها للمعتقد الإسلامي بصيغة آلية تنفي عن الغرب أي تبعة؛ ثم يحاول بطريقة أخرى رد المشكلة إلى الاستعمار الأوربي القديم. وهنا يتَّحد كل من المنهج والخطاب ليرسخا قصدية"فعل الكتابة"في ذهن القارئ، عبر استعمال جمل إخبارية وأدلة وصفية سريعة ذات منطق تبسيطي وذي صبغة مطلقة تفضي إلى اختلاق حالة الفوبيا كطريق مضمون لإقناع القارئ. وتأتي خطورة المنهج في دعم مثل هذه الطروحات – التي تركب موجة المزج بين السياسة والتاريخ – بكونها موجهة إلى قطاع واسع من القراء الذين لا يرون في الإسلام ثقافةً ودينا ومعتقدا له جذوره ورقيه وعمقه، بل شيئاً مسبّباً للإزعاج؛ ومعظم القرّاء سيقرنون، في أذهانهم هاجس الفوبيا التي تتشكل باسم المهج العلمي والخطاب الذي يشتق الحاضر من تاريخ كتب سلفا بطريقة معينة.

هكذا تتحول الفيلولوجيا إلى معمل منهجي ينتج خطابا يجيَّر لصالح السياسة وعلى وفق لغة بارعة في تشيكل صورة الآخر لصهره في بوتقة الفعل التاريخي الغربي. هكذا يتحول فعل الاستشراق إلى منتج ذا طابع شعبي في الغرب وفي الشرق كليهما من خلال ميديا الإعلام ومن خلال التدخل الإجرائي عبر المؤتمرات والتعليم والسياسة وحتى التدخل العسكري؛ لذا فإن خطاب الاستشراق الجديد بحاجة دائمة ودائبة للتحليل والتفكيك عبر الجديد من نظريات التحليل والقراءة للكشف عن مقاصده وأهدافه وللإسهام في تحاشي مؤثراته وتبعاته الآنية

والقابلة. ثم هو ضروري لتفعيل الاستشراق المحايد والاستفادة من مكتشفاته ومنتجاته.

Orientalism: A Study in the method and intentionality of the discourse

Dr.Faris Aziz al Mudaris* & Zahida Muhammad al Shakhe**

Abstract

The basic idea of this paper is an invitation to explore the methodological dimension of the action of orientimic data, analyzing its participation in parting the other's image. It also tries to gain the data of the explored one. All these objectives could be achieved throughout using methodological tools were set early to be the foundations that lead to the truth, but some of the orientalists made the methodology as a means to manufacture the image of the other in order to achieve certain objectives and intention. Hence, this paper deals with exploring the communicative value of the action of writing, then there must be a process of deconstructing the methodology of orientalism according to machineries depend upon the analytical way of methodology via suitable epistemic methods as well as rereading the language of discourse and its formerly intention.

This paper also aims at explaining the motives that demand to cancel the term of orientalism and giving it new names to pass over its heavy loads through dangerous trickery intends to continue in utilizing the data of oreintalism but in new names of academic appearance and even a human one. It highly it important to study the " action of oreintalism " for having an effective influence in the cultural and political changes all over the world.

* Dep of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.
** Dep of History/ College of Education/ University of Duhok.